

تولّي الإمام الحسين بين الغلو والاعتدال

الشيخ عليّ مسيبي

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين؛ النفس المطمئنة؛ الله؛ الجنة، الإمام عليّ بن أبي طالب؛ كربلاء؛ محرم؛ النبي عيسى؛ الغلو؛ النبي محمد.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: {يا أيُّها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربِّك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي}.

هذه الآية المباركة تنطبق على أشرف وأعلى مصداق وهو الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

{يا أيُّها النفس المطمئنة} وصل هذا الإنسان الإلهي إلى مرتبة حتى ربنا الجليل يعبر عنها بهذه الكيفية "النفس المطمئنة" التي تخاطب مباشرة بخطاب ربّها {يا أيُّها النفس المطمئنة} ربنا الجليل يخاطب صاحب هذه النفس المطمئنة من دون أيّ واسطة، وأيّ ملك مقرّب أو نبي مرسل، من دون أن يكون أحدًا بينه وبين هذا العبد الذي هو عبد فقط {يا أيُّها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربِّك راضية مرضية}. من يمكنه أن يدعي أنّه راضٍ من الله؟ وراضٍ بقضاء الله وقدره. راضٍ بعلمه السابق، وبصنعه وبفعله وبمشيئته، من يمكنه في هذا العالم أن يدعي بهذه المرتبة من الرضا إلا أئمة أهل البيت عليهم السلام وأشرف وأعلى مصداق إمامنا الحسين عليه السلام "ارجعي إلى ربِّك راضية مرضية" أنت راضٍ من الله بما أراد، أراك أن تكون قتيلاً، فرضيت، أراك في كربلاء فرضيت، أراد أن يرى أهل بيتك أسارى فرضيت، "راضية مرضية" الربّ راضٍ وهو مرّضيّ، "فادخلي في عبادي". عبادي هنا غير العباد الذين يعملون عملاً، بل "عبادي" منسوب إلى الذات أي عبده فقط عباده لنفسه، بل هو عبده وحده، عبد الذات الإلهية، لا يعبد اسمًا دون اسم لا يعبد وصفًا دون وصف، بل يعبد الذات المستجمعة لجميع صفات الكمال، صفاته العليا، يعبد جميع الأسماء والصفات، عبده كما هو أراد ويشرف.

أشرف مقام وأعلى مقام لأئمة أهل البيت عليهم السلام أن يكون عبدًا بتمام حقيقة المعنى وبجميع

مراتب العبودية، هذه المرتبة ليست سهلة أن يقول الإنسان أنا "عبد".

{ادخلي جنتي} ليس في الجنّات بل "جنتي" ولا جنتان لمن خاف مقام الله بل "جنتي".

(جَنَّتِي) لها مرتبة خاصة أعلى من (الجَنَّاتِ وَجَنَّتَانِ)، هذا المقام لا يليق إلا بأئمة أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الحسين عليه السلام. هذا الإمام بالخصوص، وموضوع كلامنا بحاجة إلى جلسات عدّة لا جلسة واحدة. يجب أن نفهم معنى الغلوّ حتّى يمكننا التحرك في هذا البحث، وهنا يوجد اختلاف بين علمائنا نحن. ولكن وردت مسألة الغلو في كتاب الله، وفي روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام وينبغي الالتفات إلى هذا الموضوع جيّدًا، أن نفهم أين هو حدّ الغلو؟ هل يمكن للإنسان أن يبالغ في شأنهم؟ كلّ ما نقول في شأنهم ما زلت مقصّرًا، الغلوّ يعني أنّك تفهم حقيقتهم وتزيد في مقاماتهم ودرجاتهم الشيء الذي ليس لهم، فتدركهم حقّ الإدراك وتعرفهم حقّ المعرفة ولكنك تزيد على مقاماتهم.

والمغالي هو المزيد والمبالغ في شأنهم عليهم السلام بالأشياء، كلّ ما نحن نفهمه ما زلنا مقصّرين، وقد أنكروا الغلوّ، وإذا أردنا أن ننظر من المنظار الصحيح ونفهمهم حقّ المعرفة فنحن عاجزون عن فهمهم وإدراكهم ولسنا نحن فقط بل كبار العلماء والمفكرين، سلمان مع مقامه كان عاجزًا عن فهمهم، وأبو ذرّ مع قربه من الإمام عليّ فكان عاجزًا. وإذا أراد أحدًا أن يدرك حقيقة أهل البيت لا يمكنه، الحقيقة الفاطميّة مجهولة، حقيقة أمير المؤمنين مجهولة، حقيقة الإمام الحسين مجهولة، كيف ندركهم ونحن لم ندرك أنفسنا ولا عالمنا المادّي، ولا ظواهر الأشياء، من يقدر أن يدرك حقيقة أهل البيت عليهم السلام، قالوا نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد من هذه الأئمة.

لقد كان الإمام الخميني قدّس سرّه يقول في شأن عليّ عليه السلام: "سمّي عليًّا لأنّ كلّ ما نقول في شأنه ما زال هو عليًّا ممّا نقول". يقول الفقهاء بشأن عليّ، فهو عليّ ممّا يقولونه، والمتكلّمون يقولون في شأنه عليّ وهو عليّ ممّا يقولونه، يقول الفلاسفة عن عليّ وهو عليّ عمّا يقولونه.

من يستطيع أن يقول أنّه فهم حقيقة كربلاء؟ لقد شرح الكثير من العلماء يوم واحد من حياة الإمام الحسين عليه السلام وهو العاشر من محرّم، هل يقدرّون أن يقيّموا كربلاء حقّ التقييم؟ الإمام الحسين بعد صلاتيّ الظهر والعصر دخل في المعركة وجاهد وقاتل الأعداء حتّى استشهد هل قدر أحد من هؤلاء المؤلّفين والمؤرّخين أن يبيّنوا حقيقة الإمام واليوم العاشر من محرّم؟ لا لم يقدرّوا.

نأتي إلى ما كنّا عليه: نحن نقول: ندركهم حقّ الإدراك ونزيد في مقاماتهم، ولكن حقيقة لا يستطيع أحد أن يقول هذا الكلام، ولكنّ الغلوّ بمعنى أنت تقول أشياء في شأنهم وهم لا يليقون بهذه الأشياء، أنت تعبر

عنهم بعبارات لا تليق بهم، هذا هو الغلوّ وموجود في كتاب الله العزيز، يقول ربّنا خطابًا لأهل الكتاب: {يا أهل الكتاب لا تغلّوا في دينكم}، يمكن للغلوّ أن يأتي في كلّ مجالات الدين، يمكن أن يأتي في الصلاة والصوم والأحكام الشرعيّة...، ويمكن أن يكون بشأنهم {يا أهل الكتاب لا تغلّوا في دينكم (أصل الدين) ولا تقولوا على الله إلّا الحقّ إنّما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه}. المسيحيّون بالغوا في شأن عيسى فقد جعلوه إلهًا وربًّا، لم يدركوا عبوديّة عيسى ومعناه وكلمة الله، قالوا ما لا يليق به، بل هم بدّلوا نعمة الله كفرًا. والقرآن في كلّ مرّة يتحدّث فيها عن النبيّ عيسى يقول "عيسى بن مريم" إذ دائمًا يذكر اسم أمّه. في سورة المائدة {يا عيسى أنت قلت للناس اتّخذوني وأمّي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ}. أتممتنا قالوا: "نزهونا عن الربوبيّة وقولوا فينا ما شئتم". القرآن يخاطبنا نحن لنعرف كيف نتكلّم عن الأولياء {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم}. يأتي أحدهم ولا يعرف التكلّم عن الإمام عليّ عليه السلام أو الإمام الحسين عليه السلام فيتكلّمون عنهم بطريقة خاطئة ممّا يُغضب الأئمّة عليهم السلام.

حين يقول: "لا تغلّوا في دينكم" أي لا تغلّوا في شأن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ولا في شأن الرسول صلّى الله عليه وعلى آله، أي لا تتجاوزوا الحدود، فلكلّ شيء حدّ، وحينما يخرج الإنسان عن الحدود يغالي والمغالي كافر. "لا تغلّوا في دينكم" أي لا تتجاوزوا الحدّ، كما قال: {من يتعدّى حدود الله فقد ظلم نفسه}، {من يتعدّى حدود الله فأولئك هم الظالمون}. فأن نقول بالحلل والائتّاح أنّهم حلّ الله بهم "فقد ظلم نفسه" هذا خروج عن الحدّ.

كما في الأحكام الفقهيّة هناك باب للحدود يجب الالتزام بها وهنا أيضًا يوجد حدود معيّنة.

يقول صاحب مجمع البحرين: "الغلاة هم الذين يغالون في عليّ ويجعلونه ربًّا".

وابن أثير يروي هذه الرواية عن الرسول صلّى الله عليه وعلى آله: "إياكم والغلوّ في الدين" ثمّ يفسّر الغلوّ ابن أثير ويقول: "أي التشدّد فيه ومجاوزة الحدّ". الله يحبّ العدالة في كلّ شيء، إمّا عمليًّا وإمّا نظريًّا، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "هلك فيّ رجلان محبّ غال ومبغض غال"، والإمام عليه السلام هنا يتحدّث عن الغلوّ في المحبّة، لا في المعرفة، فهناك أشخاص يبالغون في الحبّ "هلك فيّ رجلان" الإمام لا يمدحهم وهذا ذمّ

لهم. يجب على الإنسان أن يرى حدَّ المحبَّة، هذه المحبَّة لا تؤدِّي إلى الجنون، عن الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله: "صنغان من أمّتي لا نصيب لهما في الإسلام الغلاة والقدرية".

شيخنا الطوسي يروي عن فضيل ابن يسار عن الصادق عليه السلام، أنّه قال: "احذروا شبابكم الغلاة؛ لأنّ الشباب والنساء وعامة الناس يأخذون بالغلوّ. "لا يفسدوهم فإنّ الغلاة شرّ خلق الله يصعّرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله وإنّ الغلاة لأشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذّين أشركوا". هم يفسدون العقائد والعقول والدين، يبرّون المعاصي، فإذا كنت شاربًا للخمر ابك يوم العاشر من المحرم فتدخل الجنّة، هذا كذب وافتراء على عاشوراء، أساس الدين الأخلاق والإنسانية ومعرفة الله ومحبّة أهل البيت من يحبّ إمامًا يحبه بأوصافه وفكره ونهجه ورسالته. بكاؤنا يوم عاشوراء إذا كان عن محبّة والتزام ومعرفة فيكون مفخرة لنا وطريقنا إلى الجنّة.

لا يوجد انسجام بين الصلاة والفحشاء والمنكر {إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر}.

قال المجلسي رضي الله عنه في الغلّو والتفويض: "اعلم أنّ الغلّو في النبيّ والأئمة عليهم السلام إنّما يكون بالقول بالوهيبتهم وبكونهم شركاء الله في العبودية والخلق والرزق أو أنّ الله تعالى حلّ فيهم أو اتّحد بهم أو أنّهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالى أو بالقول في الأئمة عليهم السلام أنّهم كانوا أنبياء، والقول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض أو القول بأنّ معرفتهم تغني عن جميع التكاليف معها بترك المعاصي والقول بكلّ منها إلحاد وكفر وخروج عن الدين كما دلّت عليه الأدلّة العقلية والآيات والأخبار السالفة وغيرها وقد عرفت أنّ الأئمة عليهم السلام تبرّؤوا منهم وحكموا بكفرهم وأمروا بقتلهم". فهم يفسدون، والفساد في العقيدة أكبر من أيّ فساد آخر.

خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكّة ومن مكّة إلى كربلاء، ولكنّه قبل خروجه من المدينة كتب وصيّته بخطّ يده الشريفة وسلّمها إلى أخيه محمّد بن الحنفية، يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى أخيه محمّد المعروف بابن الحنفية أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّدًا صلّى الله عليه وعلى آله عبده ورسوله "الله هو الظاهر وهم عليهم السلام مظهر"، الإنسان الكامل الذي يتصرّف في هذا العالم يتصرّف بالمظهرية، كيف نفهم أنّ الله سبحانه هو الظاهر وأئمة أهل البيت هم مظهر وأنّ الله من خلالهم يتصرّف، كيفية هذا التصرف بحاجة إلى علم العرفان،

جاء بالحقّ من عند الحقّ وأنّ الجنّة والنار حقّ وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً. يجب أن نفهم لماذا خرج الإمام الحسين عليه السلام؟ لماذا دخل في المعركة التي استشهد فيها واستشهد معه أصحابه؟ ما الهدف من ذلك؟ فعل الإمام الحسين عليه السلام جامعة وحوزة ومعهد ويجب أن نأخذه لندرس الهدف الشريف؟.

وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي عليّ بن أبي طالب "الإمام من أجل الحقّ لا يبالي سواء استشهد وقتل أو احتزّ رأسه لا يبالي".

في إيران كانوا يأتون بمحاضرات قيّمة حول استشهاد الإمام الحسين، عبّأوا الناس حتّى قامت الثورة. ليس هدف الإمام الحسين عليه السلام بعد مئات السنين أن نأتي نحن ونأخذ سكيناً ونضرب رؤوسنا ونقول واحسيناه هذا الخراف وغلوّ.

الإمام أعطى لنا فكرة أن نضرب السيوف على رؤوس أعداء الإمام الحسين عليه السلام الظلمة، اليهود والمفسدين. الأمر بالمعروف غير الدعوى إلى المعروف، الدعوى تكون بالمحاضرة وتأليف الكتب وبالإذاعات والتلفزيونات هذه دعوة الناس إلى المعروف، ولكن أمرهم بالمعروف يحتاج لشهادته عليه السلام، بدم عليّ الأكبر والقاسم وحبيب بن مظاهر... وأمر بالمعروف حتّى نأتي نحن بعد مئات من السنين ونفهم المعروف ونفهم المنكر، ونأمر أنفسنا بالمعروف وبعدها نأمر الآخرين بالمعروف.

"فمن قبلني بقبول الحقّ فالحقّ أولى بالحقّ ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين وهذه وصيتي يا أحي إليك وما توفيتي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب".

هذا الموضوع مهمّ جدّاً، وبالاختصار، إذا أراد أحد أن يدقّق في هذه الوصيّة يعرف كيف يوالي الإمام الحسين عليه السلام ويعرف ما عليه فعله ولو بعد مرور مئات السنين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. والحمد لله ربّ العالمين.